حدوتة الشاطر..

(أمبرتو إيكو)

السارد العظيم.. وباعث الرواية التاريخية..

رغم البعاد.. ظلك متواصلاً..!

أيمن عبدالسميع حسن

مصر

«سأفتقد كل هذا وأرحل.. هل يمكنني أن أخبئه بداخلي، وأحتفظ بزخمه ووهج حكاياته .. ربما..!»

من بَدء الأمر ، ندرك أن لكل مكان ذاكرته، ولكل مبدع مكانًا يتململ في ذهنه؛ ليخرج- بعد حين من الوقت- طفلاً شهيًّا.. تأكيدًا لذلك، فعندما تهمس المعرفة في وجدان المبدع، ينطبع ذلك على الخطوط العريضة للعمل الفني؛ فالموهبة التي تحاكي العلم تُسَجِّلُ مبدعًا بنكهة التفرُّد، وتمنحه القدرة على استيعاب كينونة الذات والذات الأخرى، وتجعله- أيضًا- قادرًا على رسم قُبلة على خد التاريخ والتأريخ، دون أن يتسلق أو يتملق... أو ينسخ من جِلدته.. فكل شيء، يتحرك ويناور، يقترب ويبتعد، يبدو واضحًا لدرجة الغموض، ويبدو ظاهرًا حتي يسد ثقوب الرؤية، ليخرج علينا هذا الذي نعرفه جيدًّا، الروائي الفيلسوف الإيطالي الراحل (أمبرتو إيكو)، هو نغم يُمهّد لنغم؛ ليتحد النغمان في صلاة ناعمة، وفي غضون مسقط رأسه بمدينة (بأليسّاندريا) بالقرب من ميلانو الإيطالية (5 يناير/كانون الثاني 1932م)... يشب هذا المبدع، ويترعرع .. بطلته مرة، وهَلَّته مرة أخرى، يتكرر اسمه في كل حَدَب وصوب..

(أمبرتو إيكو)، فهو اسم ذو إيقاع موسيقي خاص؛ (أمبر/ تو / إيكو)، ويبدو أن عائلته كانت تتاجر في الأسماء، فاختارت له اسمًا، غليظًا، نادرًا، جميل الوقع على المسمع، وكأنه يدعوك لأن تناصره، ولكن أول ما يجب الإقرار به أن يكون لدينا مثل (أمبرتو إيكو) دون أن نثرثر عن حياته، وأعماله، هو كاتب مُشَوِّق للقارئ الذكي، يَحْبِكُ بتفاصيل معقدة وغامضة ألغازًا تاريخية ويصهرها في مناخ سردي متين، ربما ذلك لانطلاقه من رؤية سيميائية وفلسفية، وقد عُرف باهتمامه بالبحث في القرون الوسطى، كما أنه يُعد ناقدًا دلائليًّا مميزًا، نال شهرة واسعة من خلال مقالاته وكتبه، خاصة منها روايته الشهيرة (اسم الوردة).. ولأنه مبدع في كافة كتاباته، فقد قام بإفراز كل ذلك كـ(وجبة من العسل المُصَفّى)؛ لنشاهده عبر لوحاته السريالية والواقعية التي خطها بقلمه جميل العطايا، فتحمل جمالًا في السرد، والوصف، والحبكة الفنية، وليتجاوز كل أنواع الجمال.

وقد نجح (أمبرتو إيكو) في صياغة خاصة لموهبته؛ لتأخذنا تلك الصياغة نحو اضطراب يهز المَشَاهِد ويبدع تكوينات واضحة للأفق...

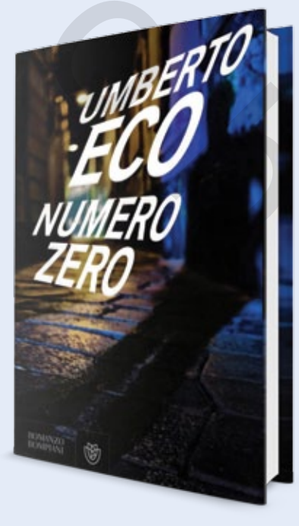

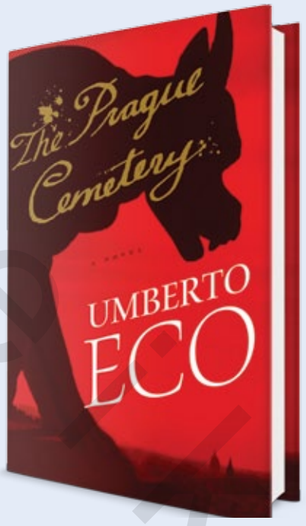

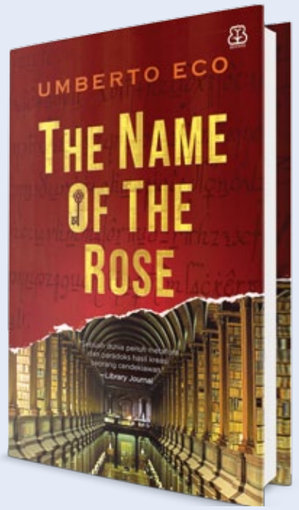

مع رواية (اسم الوردة) ..نقف قليلاً..

في سَديم غامض، وواضح، تحرك المبدع (أمبرتو إيكو) داخل عمله الجميل (اسم الوردة)؛ ليقدم لنا عملاً يليق به، فتبدأ بتمرين سيميائي طريف، هذا الذي يبدو واقعيًّا، بيد أنه يبدو أسطوريًّا في ذات الوقت، ومع جَزالة الأسلوب وسلاسته، يستعرض الكاتب قدراته في استثارة الرؤى .. وتأجيج بُهمة الليل .. بزحف النهار عليه.. وهكذا...فقبل البَدء بلحظة من القراءة، اتضح لي أني خائف، وإني من زمن لم أمارس الخوف في الطبيعة، لقد مارسته - هذا الخوف- كثيرًا عندما تَطرَّقت لقراءة أعمال (أمبرتو إيكو)، وأخص منها رواية (اسم الوردة)، فهي حَدث فارق؛ لأنها أسست لنوع أدبي يمزج بين الرّصانة الإثارة والتشويق، كذلك أعادت رواية (اسم الوردة) الرواية التاريخية إلى الصدارة الجماهيرية، ومهدت الطريق للعديد من أعماله، التي اعتمدت- بعد ذلك- على الوصفة نفسها: تشويق وحبكة بوليسية، التي تدور في عالم الأديرة، بالقرون الوسطي، من البداية تزدحم الأحداث حول لغز سلسلة من الجرائم تُرتَكب في أحد الأديرة بشمال إيطاليا، كانت صفحات الرواية تعابث خوفي، وتحيلني إلى وَجَل خالص، فتمت مسرعًا كي أخرج من أدغال نفس، ثم عدت لأكمل القراءة، فشعرت أن خوفي زال وتجمد، وتحوَّل إلى فرح وغبطة، لم تتكرر معي من قبل، وفي نهاية يومي، نمت قرير العين بجوار رواية (اسم الوردة)؛ كي أستر عُري طفولتي، أو أسترد شجاعتي المسلوبة، لا أعرف، أيهما أقرب للنفس...!

دفتر أعمال (أمبرتو إيكو)..

كان أمبرتو إيكو دقيقًا بطبعه، حيث يقول في أحد حواراته : «.. ببساطة، يحدث للكاتب وهو يراجع كتابًا صدر له منذ مدة طويلة، أن يشعر بالحاجة لإجراء بعض التغييرات عليه، وعمومًا، فإنّ روايتي (اسم الوردة) هو الكتاب الذي كتبته منذ ثلاثين عامًا خلت، قد اتّسم على مرّ الترجمات بأخطاء ارتأيتُ أن أصحّحها من طبعة جديدة إلى أخرى. وفي الواقع، فإنّ الكتاب كان يتطوّرُ باستمرار. لذا كان من المفيد أن أراجعه بصفة نهائية»...

عن النجاح المذهل للرواية، ردّ أمبرتو إيكو: «..دائمًا ما كنت أشعر بتوتُّر عندما أُسأل مثل هذا السؤال، فالجميع يُحدّثني عن هذا الكتاب، كما لو أنّ الكتب الأخرى لا وجود لها. وكذلك (غارسيا ماركيز) ظلّت روايته (مئة عام من العزلة)، تضايقه باستمرار، حتى لو كتب بعدها (فيدر) أو (الكوميديا الإلهية). فقد أصدر (أمبرتو إيكو)، بعد هذه الرواية روايات لا تقلُّ أهمية من حيث البناء الفني، مثل: «بندول فوكو» (1988)، و«جزيرة اليوم السابق» (1996)، و«باودولينو» (2000)، و«الشعلة السرية للملكة باولا» (2004)، و«مقبرة براغ» (2010)، و«الرقم صفر» (2015).

حصاد النشأة والتكوين..

عودة على لُحمة، وإضافة لما ذكرناه سابقًا، يدخل علينا